

## المشافي في العصر العباسي الاول

### Hospitals in the first Abbasid era

أ. د. حسين علي قيس

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب - قسم التاريخ

Dr. Hussain Ali Qais

College of Arts / Mustansiriyah University

#### المقدمة

حرص الإسلام كل الحرص على أن يتمتع المسلم بالصحة الجسمية والنفسية، فبهما يقوى الإنسان على العبادة وعمل الخير لنفسه ولأهله ولأمته، وبهما يكون قادراً على عمارة الأرض .

ومن مظاهر عناية الإسلام بالصحة، أنه وَضَعَ لها الوسائل الوقائية، والأساليب العلاجية للمحافظة عليها، وتَوَقَّى الأمراض قبل حدوثها، فالوقاية خير من العلاج، والحقيقة أن موقف الإسلام من الصحة والوقاية وسلامة الأبدان موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقُرْبَة، بل فريضة من الفرائض، حيث إننا نجد كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه الطهارة أي النظافة، فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام لأن

الطهارة هي مفتاح العبادة اليومية الصلاة فلا تصح الصلاة إلا بالطهارة ونظافة الثوب والبدن والمكان من الأخبات والقاذورات .

ان الحضارة العربية الاسلامية اهتمت بصحة الانسان وحسده وكان هذا الاهتمام نابع من الاهتمام بالدين الاسلامي ، فالمسلمون اهتموا بصحة الانسان من خلال بناء دور للشفاء في مراحل الدولة العربية الاسلامية في القوة او الضعف ، فقد اهتم المسلمون على اختلاف انواع حكمهم منذ ايام الرسول محمد (ص) ومرورا بالخلافة الراشدة ثم الاموية ومن بعدها العباسية في بناء الصروح التي تحافظ على صحة الانسان من الامراض التي تصيبه و اولوا الحكام و الموسرين بهذا المسألة من حيث البناء و الاطباء ونوع العلاج المقدم للمرضى والذي اخت معالم هذه الحضارة بالنمو وبشكل تطور كبير في الخلافة العباسية لبغداد وباقي الاراضي التابعة لها فقد اصبحت مظهرا للتحدي في العلم و النظافة والجمال في هذا العصر. فقد كانت تسمى (مارستانات) أي دور المرضى وكان منها الثابت والمتنقل، وقد وصلت درجة راقية في العصر العباسي الأول من حيث اقسامها وتخصصاتها حسب نوع الامراض وكانت تزرع الى جوارها مزارع تنمو بها الأعشاب الطبية والعلاجية لإمدادها بما تحتاجه من هذه الأعشاب لعلاج المرضى

### تعريف البيمارستان

هو كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى المريض او عليل (ستان) بمعنى مكان او دار المرضى<sup>١</sup> ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان .

<sup>١</sup> ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة ت( ١٢٨٩/٥٦٨٨ م) عيون الانبياء في طبقات الاطباء ، د. نزار رضا بيروت ص ٤٧ .

## نشأة وتطور المشافي في العالم الاسلامي حتى نهاية العصر العباسي

المشفى هي احدى المنشآت العمرانية كالمساجد و التكايا والمدارس التي شيدها وطورها المسلمون وبذلوا الكثير من الاوقاف عليها وكان من ثمارها ان تطور وازدهر الطب في الدولة العربية الاسلامية واصبح اكثر دقة ومهنية .

لقد اعتنى العرب بانشائها ، وجعلوا الرعاية الطبية في المشفى بحق لكل افراد المجتمع ، فقد استعان مؤسسوا هذه المشافي الى قوميات عربية و غير العربية في علاج مرضاه فكان اطباء من الفرس والروم<sup>٢</sup> فاستفادوا من خبراتهم فانتشرت المشافي من بغداد شرقا الى الاندلس غربا. فكان تطورها يعني تطور الطب في العالم الاسلامي سواء كانت هذه المشافي ثابتة او متنقلة ، فالثابت منها قد بنى من المدن او في احد احيائها<sup>٣</sup>

اما المتنقل فهو الذي يحمل من مكان الى اخر حسب الظروف والامراض والامكن التي تنتشر بها الاويئة او مناطق الحروب و الصراعات<sup>٤</sup>

## نشأة المشفى في عصر الرسالة

كان لدى العرب قبل الاسلام معرفة بالعلوم الطبية لكنها على في اغلبها مبنية على التجربة و ليس على وجود كتاب<sup>٥</sup> وخبرتهم التي اكتسبوها عن طريق اتصالهم بالامم الاخرى .

فيذكر لنا التاريخ عدد من هذه الاطباء امثال الحارث بن كلدة<sup>٦</sup> الذي استدعاه الرسول(ص) عندما مرض سعد بن ابي وقاص في مكة ليعالجه<sup>٧</sup> . واول

<sup>٢</sup> القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت (١٢٥٨هـ/١٢٥٨م) تاريخ الحكماء ، فون بوليوس ، المانيا ، ص ١٥٨

<sup>٣</sup> ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني ت ( ٦١٤هـ ، ١٢١٧ م ) رحلة ابن جبير ، د. محمد مصطفى ، بيروت ، ص ٢٦ .

<sup>٤</sup> المقري ، احمد بن محمد ت ( ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، د. احسان عباس ، بيروت ١٩٨٨ ، ج ٢ ، ص

٦٣٨

<sup>٥</sup> ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد بن خلدون ، ت ( ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب و العجم و البربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ج ١ ، ص ٤٩٣ .

من انشأ المشافي سيدنا محمد (ص) في الاسلام حيث لم يكن في بلاد العرب مشفى خاص ليعالج المرضى اثناء الحروب<sup>٨</sup> وعندما جاء النبي (ص) خصص مكانا من مسجده واقام به خيمة لمعالجة جرحى غزوة الخندق<sup>٩</sup>

### نشأة المشفى في العصر الراشدي

لقد اكملت هذه المرحلة من الخلافة في الوجود البسيط للمشافي وقلّة التطور ولم تبنى مشافي ذكرها لنا التاريخ مع العلم وجود اطباء عرب سبق وان ذكرنا ادهم وهو الحارث بن كلدة الثقفي<sup>١٠</sup> وابن ابي رمثة التميمي<sup>١١</sup> .

ان حكم الدولة العربية في زمن الخلفاء الراشدين لم تكن قد بدأت في الاختلاط بالامم الاخرى من الناحية الحضارية بل كانت في حالة حرب وفتوحات. ولما فتح العرب المسلمين مدينة جنديسابور عام (١٧هـ/٦٣٨م) زمن خلافة عمر بن الخطاب كان المشفى الفارسي ما زال يعمل بنشاط<sup>١٢</sup> وبقي حتى خلافة ابي جعفر المنصور وعرف فيها في وقتها مجموعة من الاطباء امثال جورجيس بن جبرائيل البختيشوعي وابنه بختيشوع واسابور بن سهل<sup>١٣</sup> .

<sup>٨</sup> ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ، ت (٢١٣هـ/٢٢٨م) سيرة النبي ، محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ص ٦٨٨ .

<sup>٩</sup> ابن ابي اصبيعة ، عيون ، ص ١٦١ .

<sup>١٠</sup> عيسى بك ، احمد ، تاريخ البيمارسانات في الاسلام ، دمشق ، ١٩٣٩ ، ص ١١ .

<sup>١١</sup> ابن هشام ، سيرة النبي ، ج ١ ، ص ٦٨٨ .

<sup>١٢</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٦٢ .

<sup>١٣</sup> ابن جلجل ، ابو داود سلمان بن حسان الاندلسي ، ت (٣٣٧هـ/٩٧٨م) طبقات الاطباء و الحكماء ، فؤاد سيد ، القاهرة ، ص ٥٧ .

<sup>١٤</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٦٣ .

<sup>١٥</sup> ابن ابي اصبيعة ، عيون ، ص ١٨٤-١٨٧ .

## نشأة المشفى في العصر الأموي

شهد العصر الأموي تطوراً قليلاً من حيث وجود المشفى ونشأتها ويقال إنها بدأت في العصر الأموي عندما تم حصار ابن الزبير في مكة فضرب لها فسطاطاً من ناحية المسجد لمعالجة الجرحى من أصحابه ويعرف هذا الفسطاط عند العرب باليمارستان العربي<sup>١٤</sup>.

ويعتبر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان من أوائل من أنشأ مشفى إسلامي بشكلا المنظم في عاصمة الدولة الأموية دمشق فوضع بناء مشفى عام (٦٧٩هـ/٦٧٩م) تحت المئذنة الغربية من الجامع الأموي<sup>١٥</sup>.

وشهد عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إنشاء أول مشفى فعلي ثابت<sup>١٦</sup> حين أسكن به العميان وحبس المجذومين حتى لا تنتقل العدوى للعامة وأجرى عليهم الأرزاق وجعل لكل مقعد خادم ولكل ضرير قائد<sup>١٧</sup>.

وتم إنشاء ملجأ للفقراء مزوداً بالزيت و الطحين والعجين في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) واعتبر هذا مشفى لوجود الأدوية وبعض حاجيات المرضى و مستلزماتهم<sup>١٨</sup>.

## نشأة المشفى في العصر العباسي

يعد العصر العباسي من ازهى العصور الإسلامية الحضارية، فحين تسلم العباسيون الحكم ازدهرت المشافي بشكل كبير، مما يدل على اهتمام خلفاء بني

<sup>١٤</sup> السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب، العراق، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٢٦٨.

<sup>١٥</sup> المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم، ت (١٤٤١هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة ١٩٧٨ ج ٢، ص ٤٠٥.

<sup>١٦</sup> الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، ت (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) طبقات الشافعية، القاهرة، ج ٦، ص ٢١٩.

<sup>١٧</sup> اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهاب بن واضح الكاتب، ت (٢٨٢هـ/٨٩٥م) تاريخ اليعقوبي، بيروت، ١٩٦٠، ج ٢، ص ٢٩٠.

<sup>١٨</sup> محمود، يوسف، الانجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، مصر، ص ١٠٦.

العباس بالعلوم الطبية وتشجيعهم للطباء وتشيدهم للمدارس الطبية<sup>١٩</sup> التابعة للمشفى ودعوا الى عقد المؤتمرات الطبية التي حضر اليها الاطباء من كافة البلاد والاقاليم التابعة للدولة العباسية<sup>٢٠</sup> .

وبدأت هذه المشافي تاخذ شكلا فائقا انتظمت بها مهنة الطب واصبحت مهنة مرموقة لا يعيب بها المحتالون والسحر وانصاف الاطباء<sup>٢١</sup> .

لذا تبارى الخلفاء و الامراء على تشيدها واشرفت عليها الاوقاف ويذكر ابن الاثير في كتابه ان هذا التطور في اهتمام الخلفاء العباسيين ببناء المشافي التي بدأت تذكر في كتب التاريخ و الرحالة ويتم تنظيم العمل بها وتقسيمها الى اقسام خاصة وعامة ليستفيد منها كافة افراد الشعب صغارا وكبار من المسلمين واهل الذمة و الاغنياء و الفقراء<sup>٢٢</sup> .

لقد اصبح في كل مدينة مشفى كبير عام على الاقل ورى ان ابا جعفر المنصور اول خليفة عباسي (١٣٢هـ/٧٤٩م) حث على انشاء المشافي وانشأ مشفى للعميان ودار للايتام والقواعد وخصص مكانا خاصا للمجانين<sup>٢٣</sup> يتلقون فيه العلاج فعمل على استقدم جرجوريوس الطبيب الفارسي المشهور واهتم بمثل هذه الاعمال من استقطاب للطباء ، ثم اهتم بالناحية الصحة و النفسية للعامة<sup>٢٤</sup>

<sup>١٩</sup> ابي ابي اصبيعة ، عيون ، ص ١٨٣ .

<sup>٢٠</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ١٧٢ .

<sup>٢١</sup> الخطيب ، حنيفة ، الطب عند العرب ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٢١٦ .

<sup>٢٢</sup> ابي الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، ت (٦٣٠هـ/٢٣٣م) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٧١ .

<sup>٢٣</sup> ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر ، ت ( ٦٨١هـ / ١٢٨٣م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

<sup>٢٤</sup> ابن ابي اصبيعة ، عيون ، ص ٣٠٦ .

وعندما جاء الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠-١٨٥هـ/٧٨٦-٨٠١م ) اهتم اكثر ببناء المشفى وزاد من تطورها فاقام مشفى كبير في بغداد والحق به مكتبة علمية ضخمة هو على غرار المشفى الفارسية وشرح لرئاسته ماسويه الخوزي وتولى الطبيب جبرائيل بن بختيشوع امر المرضى ، وفي عهد هذا الخليفة تم تاسيس ما يعرف باول نقابة طبية خاصة للاطباء <sup>٢٥</sup> .

ويعد عهد الخليفة هارون الرشيد بداية انتشار عشرات المشافي في الدولة العربية الاسلامية فيما بعد <sup>٢٦</sup> كما انشأ الخليفة العباسي المعتصم بالله مشفى في بغداد اشرف عليه بنفسه واوكل البناء الى الطبيب ابي بكر الرزاي بعد تحديد موضعه الملائم للظروف البيئية وكان الخليفة يخرج كل يوم عشرة دنانير شهريا نفقات للمشفى و الاطباء <sup>٢٧</sup> ويعطي الارزاق الى الاطباء واهتم بالخدم الذين يخدمون في المشفى وكان يتكفل بثمان الاطعمة والاشربة والخبازين والبوابين <sup>٢٨</sup> وقد سمي هذا المشفى بالصاعدي او العقيق . <sup>٢٩</sup> .

وفي عهد الخليفة المقتدر ( ٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٨٧٢ - ٩٣٢م ) ارتقى هذا العمل وهو عمل الطبيب عندما زاد في بناء المشافي ، فقد اصبح الى الاطباء امتحان داخل المشفى شرطا اساسيا لمزاولة مهنة الطب وخاصة عندما علم الخليفة المقتدر ان احد الاطباء ببغداد اخطا في تشخيص حالة احد المرضى فوصف له علاج مات على اثره فامر الخليفة المحتسب بان يمنع جميع الاطباء ممارسة المهنة حتى يقدم امتحانا يجيز له العمل وكلف سنان بن ثابت وهو عالم وطبيب ظهر في

<sup>٢٥</sup> م . ن ، ص ١٨٨

<sup>٢٦</sup> م . ن ، ص ٢٤٥ .

<sup>٢٧</sup> م . ن ، ص ٤١٦ .

<sup>٢٨</sup> م . ن ، ص ٤١٦ .

<sup>٢٩</sup> ياقوت ، شهاب الدين ابي عبد الله ، ت (٦٢٦هـ/١٢٣٨م) معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

العصر العباسي وخدم عند الخليفة المقتدر باجراء هذا الامتحان واجرى الامتحان لما يقارب تسعمائة طبيب في بغداد<sup>٣٠</sup>

واشار سنان بن قرة على الخليفة المقتدر ان يبني مشفى في مدينة بغداد في منطقة باب الشام وذلك لخدمة المسلمين وتخليدا لذكراه وسماه المشفى المقتدري وانفق الاموال الطائلة والنفقات الكثيرة من مال الخلافة ما يقارب مائتي دينار شهريا<sup>٣١</sup>.

وقد تم افتتاح مشفى في منطقة سوق يحيى الواقع بالجانب الغربي من بغداد والتي تنسب الى خالد بن يحيى البرمكي<sup>٣٢</sup> على نهر دجلة انشأته السيدة شغب ام الخليفة المقتدر بالله العباسي وبلغ نفقة المشفى ستمائة دينار في الشهر واكثر من سبعة الاف دينار سنويا وافتتح هذا المشفى ثابت بن قره ورتب به الاطباء والخدمة بامر السيد ام الخليفة وبنى هذا المشفى على نهر دجلة ذات موضع ملائم للمرضى<sup>٣٣</sup>.

لقد شهدت المشافي تطورا ملحوظا في عهد البرامكة الذي تم فيه انشاء مشفى في بغداد واسندت رئاسته للطبيب الهندي ابن دهن<sup>٣٤</sup>.

وتوالى الازدهار على بناء المشافي في العصر العباسي واخذ الاطباء غير المسلمين يعملون بها وتعلم على ايدهم اطباء كثر من المسلمين و النساطرة<sup>٣٥</sup>

<sup>٣٠</sup>ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٣٠٢

<sup>٣١</sup>ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٠٢

<sup>٣٢</sup>ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

<sup>٣٣</sup>ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت ( ٥٩٥هـ / ١٢٠٠م ) المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج ٦ ص ١٤٦ .

<sup>٣٤</sup>ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤٧٥ .

<sup>٣٥</sup>ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن يعقوب ، ت ( ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ) ، يوسف علي الطويل ، بيروت ، ١٩٧٨ ، الفهرست ، ص ٤١١ .



### جهود بعض من الوزراء و الامراء في بناء المشفى

الوزير الفتح بن خاقان ( ٢٤٧هـ / ٨٦١م) الذي كان وزير الخليفة المتوكل الذي انشا مشفة في الفسطاط بمصر وقد عرف هذا المشفى باسمه وانفق عليه ستين الف دينار واشترط الا يعالج فيه جندي او مملوك وهو ملك للعامة من المرضى ووقف عليه الاوقاف لضمان بقائه وكا يتعهد بزيارته كل يوم جمعة<sup>٣٦</sup>

الوزير ابو الحسن علي بن عيسى ابن الجراح ففي عام (٣٠٢هـ / ٩١٤م) اتخذ هذا الوزير من مشفى في منطقة الحربية ببغداد وانفق عليه من ماله الخاص وقلده الى ابي عثمان سعيد بن يعقوب الطبيب البغدادي والذي ترجم الكتب الطبية الى العربية والذي تميز بقوة الصبر والتحمل<sup>٣٧</sup>

الامير نصير الدولة بن مروان دوستكي وكان وزيرا اثناء مدة خلافة القائم بالله العباسي (٤٢٢-٤٦٧هـ / ١٠٣١-١٠٧٥م) حين مرضت ابنته فنذر ان شفيت ابنته ان يبني مشفى للفقراء فتم شفاءها الطبيب ابو سعيد منصور بن عيسى<sup>٣٨</sup> ، فبنى نصير الدولة مشفى ضخما عام (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) ووقف عليه الضياع و الاملاك

### جهود بعض العلماء في بناء المشافي

لم يقتصر بناء البيمارستانات وتطويرها على عاتق الخلفاء و الوزراء و الامراء فقط بل كان باب خير للجميع فاشترك في ذلك العبيد والخدم<sup>٣٩</sup> بعد ان

<sup>٣٦</sup> القلقشندي ، ابو العباس احمد ، ت(٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، يوسف الطويل ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ج ٣ ، ص ٤٠٩

<sup>٣٧</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٣١٦ .

<sup>٣٨</sup> م ، ن ، ص ٣٤١ .

<sup>٣٩</sup> ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ت(٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ج ١٢ ، ص ١٧٦ .

اصبحوا من الاثرياء وكذلك علماء الصوفية<sup>٤٠</sup> ومشايخ الاسلام كلهم ساهموا بفعل الخير ومن هؤلاء من اشترى دورا مجاورة للمشفى وضمها اليه<sup>٤١</sup> ولغرفة ولمساحة مثل ( بدر الدين بن المظفر القاضي) ومنهم من تولى امرها وزودها بالطباء والادوية مثل ( عثمان السليماني ) ومنهم من اوقف الاوقاف و القرى<sup>٤٢</sup> والاراضي و البساتين للبيمارستان<sup>٤٣</sup> ومنهم من اوقف سوقا على المشفى مثل عمر بن الليث الصقال<sup>٤٤</sup> .

### البناء الهيكلي للمشفى

تعد المشافي تعليمية تطبيقية من الدرجة الاولى فقد تخرج منها جهابذة الطب الاسلامي في شتى فروع الطب وهي المكان الخاص لحفظ ابتكارات اطباء وتطوير اختراعاتهم الطبية والحفاظ عليها ، وفيها يتنافس اطباء من اجل المصلحة العامة فيما بينهم فعلى سبيل المثال لا الحصر ابو بكر الرزاي محمد بن زكريا اقبل على دراسة الطب في المشفى واطهر اهمية الجلوس الى جانب اسرة المرضى لمعرفة حالتهم الصحية وبالتالي يحصل على المعرفة الطبية ويوصف لهم العلاج المناسب لغرض الشفاء من مرضهم فقد الف كتاب الحاوي وكتاب الجامع لصناعة الطب<sup>٤٥</sup> وعرف عن اشتراكه في بناء البيمارستان العضدي واختار

<sup>٤٠</sup>الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ، ت(٥٠٥هـ/١١١١م) ميزان العمل ، سليمان دينا ، مصر ، ١٩٦٤ ، ج ١ ، ص ٦٠  
<sup>٤١</sup>الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد عثمان ، ت(٧٤٨هـ/١٣٤٨م) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، عمر عبد السلام ، بيروت ١٩٨٧ مج ٤١ ، ص ٣١٩ .

<sup>٤٢</sup>ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٨٨

<sup>٤٣</sup>الايوبي ، محمد بن نقي الدين ، ت(٦١٧هـ/١٢٢٠م) مضمار الحقائق وسر الخلائق ، حسن حبش ، القاهرة ، ص ١٧٣ .  
<sup>٤٤</sup>الاصطخري ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي ، ت(٣٥٠هـ/٩٦٠م) مسالك الممالك ، محمد جابر عبد العال سوريا ، ١٩٦١ ، ص ٢٤١ - ٥٤١ .

<sup>٤٥</sup>ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤٢١ ، ٤١٦

موضوعه واصبح مشرفا عليه وصار يلقب بـ جالينوس العرب او طبيب المسلمين  
٤٦ .

لقد توصل بعض الاطباء اثناء مناظراتهم العلمية التي كانت تقام داخل المشافي الى اراء جديدة في الطب تخالف اراء الذين سبقوهم في تطور اساليب العلاج وتقديم صفات طبية تساعد على استجابة المريض لها باسرع وقت ممكن

وقد عملت المشفى على نفي الخرافات و الاوهام التي كانت ملتصقة بمهنة الطب ، فالاسلام يقرر ان المرض من الله سبحانه وتعالى فمن واجب البيمارستانات حماية المرضى من الجهل ومحاربه٤٧

اما فيما يخص الخدمات التي قدمتها المشافي للجيش العربي من خلال الاعتناء بالمقاتلين الجرحى و المصابين في المعركة فكان الخلفاء الامويون و العباسيون اذا جهزوا جيشا ارسلوا معه مشفى متنقل لمداواة الجرحى و المرضى وارسلوا معه الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها فعلى سبيل المثال الا الحصر عندما اشتدت المعارك بين العباسيين و الخوارج شوهدت مثل هذه المشافي عندما قويت شوكة الوليد بن طرفة الشاري زعيم الخوارج وفشل القادة العباسيون في القضاء عليه انتدب الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٨٥هـ/٧٨٦-٨٠١م) القائد العربي يزيد بن يزيد الشيباني ودار القتال بين الطرفين وانتصر الجيش العباسي٤٨ فشوهد في اثناء المعركة مثل هذه المشافي العسكرية٤٩

٤٦ م ، ن ، ص ١٢٩ .

٤٧ ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٣١ .

٤٨ الجومرد ، عبد الجبار ، هارون الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٤ ص ٥٦١

٤٩ التكريتي ، راجي عباس عبد الحكم ، الاسناد الطبي في الجيوش العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٨ .

لقد رفع عمل في المشفى من المستوى الاقتصادي الى الاطباء العامل به فكان بختيشوع في زمن الخليفة المتوكل (٢٣٥هـ/٨٤٩م) بلغ من الجلالة والرفق وعظم المنزلة وكان يجاري الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش ومثله الكثير من الاطباء<sup>٥٠</sup>

### النظام الاداري في المشفى

- المحتسب : وهو احد الوظائف المهمة في عمل المشفى فعمله يشمل اطلاعه الى اعمال الاطباء ومعاملتهم للمرضى فقد عين الخلفاء العباسيون المحتسب على الاطباء لما لهذه المهنة من جانب انساني وديني فكان المحتسب يقون بتفتيش المشفى و الوقوف على جميع احواله وعلى المرضى ويعلم الخليفة بكل الامر<sup>٥١</sup> اضافة الى اخذ عهد من الاطباء العاملين في المشفى بان لا يعطوا اي دوام يضر المريض<sup>٥٢</sup> .

وقد اجرى الخليفة المقتدر (٣١٩هـ/١٠٤٨م) امتحان لاكثر من ٩٠٠ طبيب في بغداد فكلف سنان بن ثابن بن قرة باجراء الامتحان بناء على طلب المحتسب بعد ان فشل احمد الاطباء في اعطاء دواء متناسب للمريض ادى الى موته<sup>٥٣</sup> وكان من اشهر المحتسبين في عصر الخليفة المقتدر هو ابو ابراهيم بن محمد بن ابي بطيحة الذي امر بمنع المتطبيين من التصرف بالمهنة الا بعد اجتياز امتحان سنان بن ثابت بن

قره<sup>٥٤</sup>

<sup>٥٠</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٠٢ .

<sup>٥١</sup> ابن الاخرة، محمد بن محمد احمد القرشي ، ت(٧٢٩هـ/١٣٢٨م) معالم القرية في احكام الحسبة ، روين لوي ، ١٩٣٧ ، ص ١٦٧ .

<sup>٥٢</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٤

<sup>٥٣</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٢٢٤-٢٢٥

<sup>٥٤</sup> م. ن ، ص ٣٠٢ .

- الناظر وهو المشرف على الرئاسة العليا للمشفى ويتم توليته من قبل دار الخلافة مباشرة<sup>٥٥</sup> ولا يشترط ان يكون طبيبا وانما يكون من اعيان البلد ومن المعروفين بحسن الخلق وقوة الشخصية واختصاص الناظر محصور في ادارة اوقاف المشفى وتوفير الاموال المطلوبة لادامته وما يحتاجونه من يد مساعد في غير الصنعة<sup>٥٦</sup>
- القاضي اضافة الى دوره التقليدي ضمن اركان الدولة العربية الاسلامية نرى له دور في ادارة المشفى من خلال امره في حبس اصحاب الامراض العقلية في المشفى<sup>٥٧</sup> وله اليد العليا في التحقق من اخذ الاموال المشافي<sup>٥٨</sup> وكان له الحق باقالة من في المشفى<sup>٥٩</sup>
- العاملين في المشفى اللذين يكون على درجة عالية من الوقاية الصحية حيث اتباع بعض الاساليب الصحية اثناء عملهم وبالاخص في تحضير الطعام للمرضى فيجب ان يكونا ملثمين عند تحضير الطعام والنظام الدائمة في اجسامهم

### النظام العلاجي داخل المشفى

#### مجانية العلاج في المشفى :

اتبع المسلمون نظاما دقيقا للعمل في المشفى لتحقيق الفوائد المرجوة من انشاءه وكان يختار للعمل بها خبير الاطباء سواء من اهل البلد او الوافدين ويستخدمون معهم طبقة من الغلمان كمساعدين صحيين او موظفين يتولون مهام

<sup>٥٥</sup> ابن الجوزي ، المنتظم ، ، ج ٨ ، ص ٢٤٨

<sup>٥٦</sup> ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافى ، ت(١١٧٥/٥٧١م) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حل بها من الاوائل ، محب الدين بن ابي سعد ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ج ٥٤ ، ص ٦٩ .

<sup>٥٧</sup> المحبى ، محمد امين بن فضل الله بن محب الله بن احمد الحموي ، ت(١٦٩٩/١١١١م) خلاصة الاثر في اعيان الحادي عشر ، بيروت ١٩٩٤ ، ج ٣ ، ص ٢٣٠

<sup>٥٨</sup> النعمي ، عبد القادر محمد بن محمد الدمشقي ، ت(١٥٠٧/٩٧٨م) الدارس في تاريخ المدارس ، ابراهيم شمس الدين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

<sup>٥٩</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٣٥ .

التغذية والنظافة لراحي المرضى وتوفير اقصى درجات الرعاية لهم<sup>٦٠</sup> وكانت توجد قواعد للعمل و الادارة داخل المشفى يعمل بها كل مختص بعمله<sup>٦١</sup> وكان يوجد بطاقة لكل مريض من ساعة دخوله ويسجل بها الطبيب ملاحظاته الخاصة تجاه المريض وطرق العلاج وتبقة معه حتى ساعة خروجه من المشفى<sup>٦٢</sup> وكانوا يفحصون المريض عند دخولها اول الامر الى المشفى في قاعة خارجية عن المشفى فمن كان مصاب بمرض خفيف يصرف له العلاج من الصيدلية ويخرج ومن كانت حالته تستوجب دخوله المشفى كان يقيد اسمه ويدخل الى الحمام لغرض وتخلع عنه ثيابه وتوضع في مكان خاص ويدخل المريض الى القاعة المخصص للرقود ويخصص له ملابس وسرير مفروش ويعطى له الدواء وفق توجيه الطبيب ويخرج من المشفى عند مشافاته من المريض المصاب به<sup>٦٣</sup>

### طرق العلاج في المشفى

يوجد في المشفى فريق عمل يشترك به اكثر من طبيب والغرض من هذا الفريق تخفيف امكانية الوقوع في اخطاء قد تكون جسيمة وزيادة عن ذلك دقة الملاحظة والفحص للمريض<sup>٦٤</sup> ويوجد طريقتان للعلاج داخل المشفى الاول يتم تشخيص العلاج اللازم ويعطى للمريض ويصف له مقدار الادوية والعقاقير التي يستخدمها في منزله ، ام الطريقة الثانية فيبقى المريض في المشفى وفي القاعة

<sup>٦٠</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٩٨ .

<sup>٦١</sup> البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد بن امين بن سليم الباباني ، ت(١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ايضاح المكنون في الذيل على كشوف الظنون عن

اسامي الكتب والظنون ، طهران ، ١٩٧٠ ج ٣ ، ص ٦٠٧

<sup>٦٢</sup> ابو الرب ، صلاح الدين محمد ، الطب و الصيدلة عبر العصور ، عمان ، ١٩٩١ ، ص ١٢٤-١٢٥ .

<sup>٦٣</sup> الرزاي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، ت(٣١٣هـ/٩٢٥م) الحاوي في الطب ، هيثم طعيمة ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .

<sup>٦٤</sup> هونكة ، زينغريد ، شمس العرب تستطع على الغرب ، فاروق بيضون ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٣٩ .

المخصصة له ويجتمع عليه الاطباء ويتابعونه في العلاج ومدى تقبله ويؤدي الاطباء رايهم لغرض معرفة التشخيص السليم للمرض ومعرفة اعراضه بدقة<sup>٦٥</sup> .

### اهم الامراض التي كانت منتشرة في المشفى

عرف الاطباء العرب المرض انه حالة تجعل العضو عاجز عن ان يؤدي وظيفته التي يختص بها او يقدر على اداءها قدر ضعيف او تجعل العضو موجعا وان كان يؤدي وظيفته ، فيذكر ابو بكر الرزاي مادام الجسد باجمعه او بعض اعضائه يفعل افعال التي يتخصه بمقدار العادة الجارية له وبلا وجع فهو سليم صحيح<sup>٦٦</sup> .

لقد عالجت المشافي الامراض عن طريق الفحص السريري وهي الطريقة التي تستعمل لفحص المريض في سريره مضافا الى ذلك فحص المريض كالبول والبراز والبصاق ليستدل من جميعها على تشخيص المريض حيث ينظر الطبيب في بادء الامر الى لون بشرة المريض وبياض عينه وحركتهما ويسال المريض عن استمرائة بالطعام مواضع الشكوى من جسمه ثم يقيس يحس نبضه ويتلمس تحت الاضلاع وقرب المعدة عن الكبد المتورمة وينظر الى الوذمة التي تدل على برودة الكبد وقد اهتم الاطباء اثناء فحوصهم الطبية بالنبض كعلامة مهمة في التشخيص<sup>٦٧</sup> ويفحص المريض اثناء الراحة والهدوء النفسي ولا بعد الرياضة و الجوع<sup>٦٨</sup> ويجب ان تكون العينة للفحص من بول المريض في الصباح او بعد نوم طويل

<sup>٦٥</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٣٢ .

<sup>٦٦</sup> الفصول او المرشد ، الليبر اسكندر ، مصر ، ١٩٧٨ ، ص ٦٣ .

<sup>٦٧</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٣٢ و ٥٦٥ .

<sup>٦٨</sup> السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج ١ ، ص ٤٣٩ .

ويتم فحصها خلال ساعة بعد احضارها من المريض<sup>٦٩</sup> ويستهدف من فحص البول للمريض معرفة مقدار ولونه وقوامه وصفاته والرسوب التي تتجمع فيه<sup>٧٠</sup> كما عمل الاطباء داخل المشفى بعلاج خفقان المعدة واسبابه وعلاج ضمور الطحال واجراء العمليات الجراحية كما اعطيت للمرضى علاجات حالات الاسهال للصغار او للكبار<sup>٧١</sup> وحاول الاطباء ايجاد علاج مناسب لمرض الشقيقة<sup>٧٢</sup> ومرض الحصاة من خلال تقنيتهما بالدم والزيوت<sup>٧٣</sup>

كما حاول العلماء اكتشاف ادوية لعلاج حبس البول بالتين و الزيت<sup>٧٤</sup> وحاول ايجاد علاج مرض الدوالي والفتق<sup>٧٥</sup> وقد عرف الاطباء الامراض الباطنية وهي الامراض غير الظاهرة والتي يستدل عليها باعراضها الخارجية فقد كانت الحمى من اكثر الحالات التي لها اسباب كثيرة ويكون تشخيص الحمى بلمس جلد المريض والاعتماد على شكواه من ثقل في البدن وثقل في الراس واضطراب النوم وفقدان الشهية واعتبر الاطباء ان الحمى التي تظهر في الليل اقل خطورة من التي تظهر في النهار فقد استخدم الاطباء المسهلات في علاج بعض الحميات<sup>٧٦</sup> ومن الامراض التي كانت منتشرة في الدولة العربية الاسلامية مرض اليرقان الذي كان يسبب اصفرار في الجسم والتي اوجد الاطباء العرب علاج لها<sup>٧٧</sup> ومن الامراض الاخرى التي اشتهرت المشافي بعلاجها لامراض القولنج حاولوا علاجه بنبات الثوم

<sup>٦٩</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٥٦٥ .

<sup>٧٠</sup> الرزاي ، الفصول ، ص ٥٥ - ٥٦ .

<sup>٧١</sup> الرزاي ، الحاوي ، ج ٢ ، ص ١٠٦،٥٨٢ .

<sup>٧٢</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤٧٥ .

<sup>٧٣</sup> الرزاي ، الحاوي ، ص ج ١ ص ٩٥ .

<sup>٧٤</sup> الرزاي ، الحاوي ، ص ٣٣٧ .

<sup>٧٥</sup> السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

<sup>٧٦</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٧٣٣ ، ٣٧٥ .

<sup>٧٧</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٣٦٥ .



<sup>٧٨</sup> كما عالجت المشافي امراض عرق النساء<sup>٧٩</sup> وعالج الاطباء امراض القلب<sup>٨٠</sup> وحاول الاطباء اجراء العمليات لجراحة الانف داخل المشفى محاولين اختراع الادوية المناسبة لعلاجها<sup>٨١</sup>.

كما واجهت المشافي الاوبئة والعدى وخصوصا الجذام القاتل ورمد العين والطاعون<sup>٨٢</sup> وعالجت المشافي امراض البواسير واستخدم الاطباء الادوات الجراحية في ذلك واستخدموا عدة طرق لعلاجها<sup>٨٣</sup>.

واهتمت المشافي بعلاج الامراض العصبية والنفسية وادرك الاطباء من تأثير الموسيقى على نفس الانسان واعصابه وفائدتها في الامراض العقلية<sup>٨٤</sup>.

كما اهتم الاطباء المسلمون بعلاج الامراض التي تصيب النساء واعتمدوا في اشتغالهم بالطب النسائي على الكتب اليونانية التي تطرقت الى هذا الموضوع وكان من اقدمها كتاب طبيعة الجنين لابقراط وكتاب المولدين لسبعة اشهر بترجمة حنين بن اسحاق<sup>٨٥</sup>.

لقد اهتم اطباء المشافي بامراض العين وهي من الامراض الشائعة في المشرق الاسلامي كمنطقة حارة ومترية فقد درسوا هذا النوع من الامراض دراسة وافية

<sup>٧٨</sup> الرزاي ، الحاوي ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

<sup>٧٩</sup> السامرائي ، مختصر تاريخ الطب ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

<sup>٨٠</sup> ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس ، ت(٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) القانون في الطب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

<sup>٨١</sup> الرزاي ، الحاوي ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

<sup>٨٢</sup> ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٤١٥ .

<sup>٨٣</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٦٥٦ .

<sup>٨٤</sup> م ، ن ، ص ٣٧٦ .

<sup>٨٥</sup> ابن سينا ، القانون ، ص ١٢٩٧ .

وعرفوا اسبابها العامة وانواعها وعلاماتها واستعان الاطباء بعلم التشريح ومنهم من عمل بتشريح عيون الحيوانات لمعرفة طبقات عيد الانسان بالمقارنة <sup>٨٦</sup> .

### تطوير العلاج والصيدلة في المشفى

لم يقتصر دور الاطباء في المشفى على علاج المرضى فقط بل كان لهم دورهم في تطوير العلاج والتجارب العلمية ، فقد شهد المشفى وجود مخازن كبيرة لوضع الادوية بها وتخزينها وتركيبها وتطويرها واجراء التجارب على النباتات الطبية ويعمل داخل المشفى الصيدلاني وهو ما يعني الشخص المتخصص بجمع الادوية على طبيعتها واختيار الاجود من انواعها <sup>٨٧</sup> . وحاول الاطباء و الصيادلة صنع تركيبة للدواء من خلال وضع كتاب لها سمي الاقرباذين كما ذكره ابن النديم في الفهرست <sup>٨٨</sup> .

ويعود الفضل الى العرب في تأسيس حوانيت خاصة لبيع الادوية <sup>٨٩</sup> وكانت هذه الحوانيت والصيدليات ملحقة بالمشفى او اماكن منفصلة في الاسواق <sup>٩٠</sup> وتخضع الصيدليات الى نظام الرماقبة و الحسبة واصبحت مهنة الصيدلي في المشفى وصانع الادوية من اختصاص المحتسب والذي كان مسؤولا عن نوعية الادوية والمركبات التي لا تضر بصحى الناس ، بالاضافة الى امتحانه للصيدلة منى حيث معرفتهم بانواع الادوية المختلفة وخدمتهم في تركيبها وكانت مهمة المحتسب في هذه الحالة صعبة للغاية اذا يستحيل عليه ان يتأكد من عدم غش الصيدلي في كل دواء يقوم بتركيبه ومن هنا فقد كان الطرق المتبعة في ذلك ان يقوم الصيدلي بلحف اليمين بانه لن يغش الدواء الذي يحضره للناس وان يقوم المحتسب

<sup>٨٦</sup> خير الله ، الطب العربي ، ص ١٧٨ .

<sup>٨٧</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤١٥ .

<sup>٨٨</sup> ج ١ ، ص ٤١٣ .

<sup>٨٩</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ٥٢ .

<sup>٩٠</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٢٢٤ .

بوعظ الصيدلي وتخويفهم وانذارهم بالعقوبة وان يراقب عقاقيرهم في كل اسبوع على الاقل<sup>٩١</sup> .

### شراء الادوية للمشفى

كان الاطباء يتفرغون من عملهم ويذهبون الاسواق الخاصة بالنباتات الطبية كل يوم اثنين وخميس من كل اسبوع وينتظرون الى ما يحتاجون اليه المرضى من ادوية ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجونه اليه وكان يذهب مع الاطباء مجموعة كبيرة من الخدم و الصيدلة وهم ما يطلق عليهم طبابي الادوية فينظرون بما يلزم لمرضاهم ثم يعودوا الى المشفى<sup>٩٢</sup> .

### انواع المشافي

اولا - المشفى الثابت : وهو ما كان بناءه ثابتا في مكان خاص<sup>٩٣</sup> وكان هذا النوع موجودا في معظم البلاد الاسلامية وتنقسم الى قسمين للذكور وللنساء<sup>٩٤</sup> وكل قسم مجهز بما يحتاجونه من الات ومعدات طبية وعدد كبير من الخدم ورجال ونساء وكل قسم له قاعات مختلفة منها الباطنية واخرى للجراحة والكحالة والتجبير وغير ذلك من القاعات<sup>٩٥</sup> والاقسام نفسها في المشفى الثابت مقسمة الى شعب ومن مميزات المشفى الثابت يجب ان يكون الماء جاريا فيها موقعا مناسباً<sup>٩٦</sup> ومزود بصيدلية وعليها مسؤول يسمى مهتار وهو مسؤول على مجموعة من الصيادلة<sup>٩٧</sup> . وتكون هذه المشافي الثابتة لها اطباء مختصون ونظار ولها عيادة

<sup>٩١</sup> احمد عيسى ، تاريخ البيمارستان ، ص ١١٢ .

<sup>٩٢</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٦٢ .

<sup>٩٣</sup> احمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ٦٧ .

<sup>٩٤</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦ .

<sup>٩٥</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤١٦ .

<sup>٩٦</sup> المقرئزي ، اتحافظ الحنفاء ، ص ١٤١ .

<sup>٩٧</sup> الفلشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٠ .

خارجية حيث يأتي المريض ويتناول الدواء ليتعاطاه في منزله كعلاج منزلي وهناك علاج داخلي عندما يقوم المريض في البيمارستان داخل القسم المخصص له فيعطى العلاج اللازم<sup>٩٨</sup> ويحق لاهل المريض زيارته اثناء وجوده بالمشفى<sup>٩٩</sup> وكانت هذه المشافي تعمل ليل ونهار على مدار الساعة<sup>١٠٠</sup> وانتشرت مثل هذا النوع من المشافي في المدن العربية الكبرى مثل القاهرة ودمشق وبغداد .

ومن هذا النوع من المشافي على سبيل المثال لا الحصر مشفى الجذام والذي يكون مخصص لمرضة الجذام (البرص ) وان اول مشفى انشا من هذا النوع في دمشق عام (١٧٠٥/هـ٨٦م)<sup>١٠١</sup> ثم تطور بعد ذلك في زمن الخليفة العباسي المامون عام (٨١٣/هـ١٩٨م) فقد بنى مجموعة من البيوت لهذا المرض وسار على نهجه معظم الخلفاء اللذين جاؤوا بعده ولخطورة انتشار هذا المرض جعلت البيوت التي بنيت لمرض هذا المرض بعيدة عن السكان الاصحاء<sup>١٠٢</sup>

ثانيا - المشفى المتقل : فكان النوع الاول منه المحمول لقد ظهر هذا النوع من المشافي في العصر العباسي بهدف الوصول بالخدمات الطبية الى المناطق البعيدة مثل الريف والقرى البعيدة عن المدن وقد ظهر هذا النوع من المشفة بالاحص في فترة انتشار الاوبئة والامراض وظر في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٩٠٧/هـ٢٩٥م) وتكون مجهزة بما يلزم المرضى من علاج وادوات صحية وجراحية وملابس واطباء وصيادلة وينتقل هذا المشفى من مكان الى اخر في البلدان الخالية من المشافي وفي بعض الاحيان كان هذا النوع من المشافي يرافق

<sup>٩٨</sup> غني ، قاسم ، من تاريخ الطب الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٦٥-٦٧

<sup>٩٩</sup> ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

<sup>١٠٠</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٤٨ .

<sup>١٠١</sup> اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

<sup>١٠٢</sup> ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٤ .

الخفاء عند تنقلهم<sup>١٠٣</sup> اما النوع الثاني فهو مشفى السبيل او الحج وهو ما يرافق الحجاج اثناء سيرهم الى اداء فريضة الحج في مكة ويكون مزود بالاسعافا الاولى والادوات الجراحية و الادوية وتحمل هذا الادوات في صناديق خاصة ويكون برفقتها اطباء وصيادلة وقد ظهر هذا النوع من المشافي في حكم معاوية بن ابي سفيان (٤١١هـ/٦٦١م)<sup>١٠٤</sup> وكان النوع الاخير يسمى محطات الاسعاف والذي يقام قرب الجوامع ويعمل بع الاطباء ليل ونهار لغرض اسعاف الناس المحتاجين للعلاج<sup>١٠٥</sup> وفي بعض الاحيان تقام في اوقات الاعياد والمواسم والمهرجانات وتجهز بالطباء والصيادلة لمعالجة المرضى المصابين من اي حوادث ممكن ان تحصل<sup>١٠٦</sup>.

### موضع بناء المشفى

كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية تزخر بعدد كبير من المشافي ، فكان كل خليفة او امير يبني مشفى ويتم اختيار موضع مناسب له فلقد اختار عضد الدولة الجانب الغربي من شاطيء دجلة لبناء مشفى<sup>١٠٧</sup> ، فلقد كان لوجود الماء اهمية كبير في بناء المشفى وبالاخص في بغداد وهي من الافكار التي وضعت من قبل السلاطين واوعزوا الى المهندسون المختصين بالعمل بها ، فعندما اراد عضد الدولة بناء المشفى على الجانب الغربي من نهر دجلة استشار جملة من الاطباء ومنهم الطبيب الرزاي عن موضع بناء المشفى فامر الطبيب ان يعلق في

<sup>١٠٣</sup> القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٨٦ .

<sup>١٠٤</sup> ابن العماد ، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي ، ت(١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب عبد القادر الارناؤوطي ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ .

<sup>١٠٥</sup> المقرئزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

<sup>١٠٦</sup> الخطيب ، الطب عند العرب ، ص ٢٣٥

<sup>١٠٧</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٦٢ .

كل ناحية من جانبي بغداد قطعة لحم ثم اعتبر القطعة التي لا يستهلك فيها اللحم بسرعة فإشار الى ان يبني في تلك المنطقة المشفى<sup>١٠٨</sup> .

وقد بنيت مشافي في مكانات اخرى اي ليس بالقرب من مصادر المياه حيث كانت قرب المساجد وبعضا ليست في بغداد مثل مشفى حمص بجوار المسجد الجامع<sup>١٠٩</sup> .

### تصميم المشافي

كانت المشافي في اغلبها موافقة للشريعة الاسلامية ومقسمة الى قسمين الاول مخصص للرجال والاطباء الذكور والمرضى والخدم وقسم اخر للنساء والذي يشرف عليه اطباء ايضا وهناك بعض النساء الخدم والمرضات<sup>١١٠</sup> . ويمكن ادراج اهم الامور الموجودة في المشفى بغض النظر الى مكان سواء كان في بغداد او احد مدن الدولة العربية الاسلامية :

١- المكتبة وبها خزانة كتب تحتوي على الكثير من الكتب والتي كانت في متناول اي طالب علم وكان الطلاب يتلقون اصول الطب على يد مشاهير الاطباء مستعينين بهذا المكتبة<sup>١١١</sup> .

٢- الايوان كانت الايوانات مشهورة في المشافي فهي عبارة عن قاعات كبيرة يجلس فيها الطلبة وهي معدة ومجهزة بالالات والكتب فيجلس الطلبة بين

<sup>١٠٨</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ٤١٥ .

<sup>١٠٩</sup> ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة ، ت ( ١٢٦٠هـ / ١٢٦١م ) بغية الطلب في تاريخ حلب ، سيهل زكار ، بيروت ، ١٩٨٨

، ج ١ ص ٣٩١ .

<sup>١١٠</sup> ابن جبير ، الرحلة ، ص ٥٢ .

<sup>١١١</sup> ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ٦٢٨ .

يدي المعلم بعد ان يتفقدوا المرضى ويجلسون مع اسانذتهم في الطب وكان شيخ الاطباء يعقد لهم مجلسا عاما للتدريسي بصناعة الطب و المشتغلين عليه داخل الايوان<sup>١١٢</sup> .

٣- الديوان ومن مهام هذا الديوان يجلس بداخلة طبيب يسمه صاحب الديوان في المشفى ويتحدث في كل ما يتحدث فيه ناظر المشفى من شؤون عامة وخاصة بالمرضى واحتياجاتهم ، كما كان الكتاب المختصين في شؤون المشفى يجلسون في صدر الديوان وتتم المناظرات العلمية بينهم<sup>١١٣</sup>

٤- العيادة الخارجية وكانت تشيد ملحقة بالمشفى يتم فحص المرضى وتصرف لهم الادوية وتجري لهم العمليات الصغرى داخلها ويحصلون على الخدمة الطبية التي لا تحتاج فيها عمليات كبرى وغيرها من الخدمات الطبية<sup>١١٤</sup> .

٥- الدهليز وهي ممرات صغيرة داخل المشفى تؤدي الى الانتقال بين غرف المرضى و الاطباء وهي ما بين الباب والقصر وتوصل من مكان الى اخر داخل المبنى .<sup>١١٥</sup>

٦- مسجد المشفى ويكون مكانه ام داخل المشفى او خارجه ومن مهامه تنبيه المرضى للصلاة<sup>١١٦</sup> ومن مهامه الاخرى يعتبر مكان للصلاة على الموتى بعد تجهيزهم وتكفينهم<sup>١١٧</sup> .

<sup>١١٢</sup> م ، ن ، ص ٤١٦ - ٦٢٨

<sup>١١٣</sup> القلشندي ، صبح الاعشى ، ص ٣٥ .

<sup>١١٤</sup> الرزاي ، الحاوي ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

<sup>١١٥</sup> الرزاي ، مختار الصحاح ، ج ١ ، ص ٨٩ .

<sup>١١٦</sup> الساخوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ت (١٤٦٩هـ / ١٩٠٢م) الضوء الام لاهل القرن التاسع ، عبد اللطيف عبد

الرحمن بيروت ، ٢٠٠٣ ، ج ٧ ، ص ٢٩٤ .

<sup>١١٧</sup> الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٣٨ .

٧- حديقة المشفى لقد كان الاطباء يروحون عن مرضاهم في توفير الجو الملائم للعلاج فكانت تقام حدائق وسط المشفى<sup>١١٨</sup> ويزرع بها الاعشاب و النباتات الطبية والازهار والرياحين<sup>١١٩</sup>

### الخاتمة

إن من أروع ما قامت عليه الحضارة الإسلامية هو جمعها بين حاجة الجسم وحاجة الرُّوح واعتبارها الاهتمام والعناية بالجسم ومطالبه مطلبًا ضروريًا؛ لتحقيق حياة طيبة هائلة للإنسان، يَنعَمُ فيها الجسد، وتُشْرِقُ فيها الرُّوح، وقد قال رسول الله(ص) وهو مؤسس هذه الحضارة إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيَّكَ حَقًّا

وإذا ما علمنا مقاومة الإسلام للأمراض وانتشارها، وحثُّه وترغيبه في طلب العلاج المكافح لها عَلِمْنَا أي أُسُسِ قَوِيَّةٍ قام عليها بناء حضارة الإسلام في ميدان الصحَّة، ومبلغ ما أفاده العالم من هذه الحضارة في إقامة المستشفيات والمعاهد الطبية، وتخريج الأطباء الذين لا تزال الإنسانية تفخر بأيادهم على العلم عامَّة، والطبِ خاصَّة

قد تمثَّل دور المؤسسة الصحية في الحضارة الإسلامية وفي الاخص العصر العباسي الاول وهو في مجال بحثنا في تقديم الرعاية الصحية، ومساعدة المرضى وبالأخص من الفقراء والمحتاجين وذلك عن طريق المستشفيات، التي كانت تُقدِّم خدمات جليَّة في علاج المرضى وإطعامهم ومتابعتهم سواء من المتردِّين عليها أو غيرهم بالوصول إليهم في منازلهم تلك المستشفيات التي انتشرت في ربوع العالم الإسلامي، وكانت مصدر إسعاد وطمأنينة للمجتمع الإسلامي بكل فئاته حيث يتلقَّى فيها المريض العلاج والرعاية التامَّة، والكسوة

<sup>١١٨</sup> م، ن، ج، ٢١، ص ٣١٥

<sup>١١٩</sup> المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي حبي الدين، ت(١٢٥٠هـ/١٨٦٤م) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، محمد سيد العريان، القاهرة ١٩٤٨، ج ١، ص ٢٨٧.



والغذاء، إضافةً إلى أنّ كثيراً من هذه المستشفيات كانت تقوم بوظيفة تعليم الطبّ إلى جانب قيامها بوظيفتها الأساسيّة، وهي معالجة المرضى والسهر على راحتهم. وقد أضاف ذلك كله للحضارة الإسلامية بُعْدًا إنسانيًّا آخر.

#### قائمة المصادر

- ١- ابن ابي اصبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة ت ( ١٢٨٩/هـ٦٨٨ م ) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، د. نزار رضا ، بيروت .
- ٢- ابن الاخوة، محمد بن محمد احمد القرشي ، ت (١٣٢٨/هـ٧٢٩ م) معالم القرية في احكام الحسبة ، روين لوي ١٩٣٧ .
- ٣- ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت ( ١٢٠٠/هـ٥٩٥ م ) - المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج ٦ . - صيد الخاطر ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- ٤- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة ، ت ( ١٢٦١/هـ٦٦٠ م ) بغية الطلب في تاريخ حلب ، سيهل زكار ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ج ١ .
- ٥- ابن العماد ، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي ت (١٠٨٩/هـ١٦٧٨ م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، عبد القادر الارناؤوطي ، دمشق ١٩٨٥ ، ج ٥ .
- ٦- ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن يعقوب ، ت ( ٣٨٥ /هـ٩٩٥ م) ، الفهرست يوسف علي الطويل ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ٧- ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني، ت ( ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) رحلة ابن جبير د. محمد مصطفى ، بيروت .
- ٨- ابن جلجل ، ابو داود سلمان بن حسان الاندلسي ، ت ( ٣٣٧ /هـ٩٧٨ م) طبقات الاطباء و الحكماء ، فؤاد سيد ، القاهرة .
- ٩- ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد بن خلدون ، ت ( ٨٠٨ /هـ١٤٠٦ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ج ١ .
- ١٠- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر ، ت ( ٦٨١ /هـ١٢٨٣ م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ج ٢ .
- ١١- ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس ، ت ( ٤٢٨ /هـ١٠٣٧ م) القانون في الطب ، ج ٢ .

- ١٢- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ،ت(٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حل بها من الاوائل محب الدين بن ابي سعد ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ج ٥٤ .
- ١٣- ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ت(٥٧٤هـ/١٣٧٣م) البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ج ١٢ .
- ١٤- ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ت (٢١٣هـ/٢٢٨م) سيرة النبي ، محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .
- ١٥- ابي الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) التاريخ الباهر في الدولة الاتابية ، عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٩٦٣
- ١٦- الاسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم ، ت (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) طبقات الشافعية القاهرة ، ج ٦ .
- ١٧- الاضطري ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاضطري المعروف بالكرخي ت(٣٥٠هـ/٩٦٠م) مسالك الممالك ، محمد جابر عبد العال ، سوريا ، ١٩٦١ .
- ١٨- الايوبي ، محمد بن تقى الدين ، ت(٦١٧هـ/١٢٢٠م) مضمار الحقائق وسر الخلائق ، حسن حبش ، القاهرة.
- ١٩- البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد بن امين بن سليم الباباني ت(١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ايضاح المكنون في الذيل على كشوف الظنون عن اسامي الكتب والظنون ، طهران ، ١٩٧٠ ج ٣ .
- ٢٠- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد عثمان ، ت(٧٤٨هـ/١٣٤٨م)
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، عمر عبد السلام ، بيروت ١٩٨٧
- سير اعلام النبلاء ، شعيب الارناوط ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج ١٩ .
- ٢١- الرزاي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، ت(٣١٣هـ/٩٢٥م) الحاوي في الطب ، هيثم طعيمة بيروت ، ٢٠٠٢ ج ٣ .
- ٢٢- الرزاي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الشافعي ، ت(٦٠٦هـ/١٢٠٩م) مختار الصحاح ، محمد خاطر ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- ٢٣- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ت(٩٠٢هـ/١٤٦٩م) الضوء الامع لاهل القرن التاسع ، عبد اللطيف عبد الرحمن بيروت ٢٠٠٣ ، ج ٧ .
- ٢٤- الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ، ت(٥٠٥هـ/١١١١م) ميزان العمل ، سليمان ديننا ، مصر ، ١٩٦٤ ، ج ١
- ٢٥- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت (٦٤٦هـ/١٢٥٨م) تاريخ الحكماء ، فون بوليوس ، المانيا

- ٢٦- القلقشندي ، ابو العباس احمد ، ت(٨٢١/هـ١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، يوسف الطويل ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ، ج ٣ .
- ٢٧- المحبي ، محمد امين بن فضل الله بن محب الله بن احمد الحموي ت(١١١/هـ١٦٩٩م) خلاصة الاثر في اعيان الحادي عشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ج ٣ .
- ٢٨- المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي حياى الدين ، ت(٦٤٧/هـ١٢٥٠م) المعجب في تلخيص اخبار المغرب محمد سيد العريان ، القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ .
- ٢٩- المقري ، احمد بن محمد ت (١٠٤١/هـ١٦٣١م) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، د. احسان عباس بيروت ١٩٨٨ ، ج ٢ .
- ٣٠- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم ، ت (٨٤٥/هـ١٤٤١م) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط و الاثار ، القاهرة ١٩٧٨ ج ٢ .
- ٣١- النعيمي ، عبد القادر محمد بن محمد الدمشقي ، ت(٩٧٨/هـ١٥٠٧م) المدارس في تاريخ المدارس ، ابراهيم شمس الدين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج ١ .
- ٣٢- ياقوت ، شهاب الدين ابي عبد الله ، ت (٦٢٦/هـ١٢٣٨م) معجم البلدان ، بيروت ١٩٩٨ ، ج ١ .
- ٣٣- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهاب بن واضح الكاتب ت (٢٨٢/هـ٨٩٥م) تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ج ٢ .